





عن المؤلف



مايكل دبليو دويل

مايكل دويل أستاذ جامعي في كلية الشؤون الدولية والعامّة وكلية الحقوق وقسم العلوم السياسية في جامعة كولومبيا. *
«له مؤلفات منها: «طرق الحرب والسلام

مع تصاعد التوترات بين الصين وروسيا من جهة، والولايات المتحدة من جهة ثانية بشكل خطر، وتوجهها نحو حرب باردة جديدة، يقدم هذا الكتاب نموذجاً من شأنه تسهيل التعاون الدولي الضروري، لتجنب التهديدات العالمية في عصرنا.

يستكشف دويل، من خلال الجمع بين التاريخ الدرامي والتحليل الحاد والنظرية التاريخية، آثار الحرب الإلكترونية، والتدخل في الانتخابات الأجنبية، والانقسام غير المسبوق في السياسة الحديثة على السياسة الخارجية الأمريكية. ويوضح في هذا الكتاب الصادر في 2023 عن ليفرايت للنشر باللغة الإنجليزية ضمن 288 صفحة، أنه لا يمكن أن يكون هناك أي نجاح في معالجة تغير المناخ من دون تعاون الصين، وليس هناك أي أمل في تجنب كارثة نووية من دون روسيا.

يقول المؤلف في المقدمة: «من الواضح الآن على نحو متزايد أن حقبة ما بعد الحرب الباردة قد ولت. وهذا يجعلني

أذكر الماضي، وتحديدًا ذلك اليوم الرائع في عام 1988 في الجمعية العامة للأمم المتحدة، عندما شارفت الحرب الباردة على الانتهاء، وهو اليوم الذي أعلن فيه ميخائيل غورباتشوف أن حقوق الإنسان ليست غريبة فقط (كما كان ينظر إليها خلال الحرب الباردة)؛ بل هي إنسانية. سقط جدار برلين، وانهار حلف وارسو، ثم انهار الاتحاد السوفييتي وبدأت روسيا في التحول إلى الديمقراطية. وفي عام 1989، أقام الشباب الصينيون تمثالاً للحرية في ميدان تيانانمين، بطريقة بشرت بإمكانية انتشار «الربيع اللبيري» إلى القوة الشيوعية العظمى الأخرى.



ويضيف: كانت أوائل التسعينات من الأوقات المفعمة بالأمل، لكنها كانت أيضاً من الأوقات التي ضاعت فيها الفرص. أشارك بعضاً من المفارقة المحزنة التي عبر عنها الروائي الرائع ديفيد كورنويل (الاسم المستعار جون لو كاريه) في الحرب الباردة، حينما قال في عام 2001: «إن القوة الصحيحة خسرت الحرب الباردة، لكن القوة الخاطئة فازت بها». في عام 2020، أوضح كاريه من خلال تعليق له في عام 1990 عن الشخصية التي حددها، جورج سمايلي: «يوماً ما، قد يخبرنا التاريخ عمّن فاز حقاً». إذا ظهرت روسيا ديمقراطية، فلماذا تكون روسيا هي المنتصر؟ وإذا كان الغرب يصّر على نزعه المادية، فقد يتحول إلى أخسر. لسوء الحظ، دخلنا حقبة من الأحادية القطبية للولايات المتحدة ممزوجة بالكثير من الغطرسة. انحدرت روسيا إلى نظام حكم شعبي، وفي وقت لاحق، وهربت أوروبا الشرقية غرباً، للاعتماد على الناتو والاتحاد الأوروبي. نجحت الصين في اقتراض السوق، لكنها أعاقت الديمقراطية. اليوم، في الحرب الباردة الجديدة الناشئة، ندفع ثمن فشل الإبداع في التسعينات. وهي أكثر خطورة مما كانت عليه قبل بضع سنوات فقط؛ أخطر من مجرد تداول الإهانات. يتحمل الأوكرانيون اليوم التكاليف وهم يحاولون الدفاع عن استقلالهم الوطني. بدلاً من وضع علامة على نهاية الصراع حول الأيديولوجيا، وبدء نظام ليبرالي دولي متنامٍ للسلام والتعاون أو العودة إلى توازن القوى الكلاسيكي متعدد الأقطاب، فإن حقبة ما بعد الحرب الباردة، تتبعها حرب باردة جديدة. هذه حرب – حتى الآن باردة – بين القوى العظمى وأنظمة الحكم المتضاربة، تتميز بالمنافسة الصناعية، وتخريب المعلومات، والحرب السيبرانية.

ويقول أيضاً: لم يفلت السياسيون من أي من هذا، اختتم الرئيس بايدن مؤتمره الصحفي الأول لعام 2021 بهذه الكلمات: «أتوقع لكم»، قال للصحفيين: «أطفالكم أو أحفادكم سيقدّمون أطروحة الدكتوراه حول مسألة من نجح: «الاستبداد أم الديمقراطية؟ لأن هذا الأمر على المحك».

تداعيات خطرة

يشير المؤلف إلى أن هذا العالم الجيوسياسي الجديد له تداعيات خطيرة على الحد من تغير المناخ، وتعزيز حقوق الإنسان، وحماية الأمن القومي. يحتاج المواطنون في جميع أنحاء العالم إلى مزيد من الجهود المتضافرة، لإدارة التوترات الأمنية العالمية، واستراتيجية أكثر حرصاً ولكن حازمة لحقوق الإنسان، وكلاهما يتكيف مع هذه الأوقات، ومصمم لضمان أن حقبة ما بعد الحرب الباردة، تتجاوز الحرب في أوكرانيا، وتتحوّل إلى أقل شكل من السلام البارد. بالنسبة للولايات المتحدة، يجب أن يشمل هذا الجهد، دبلوماسية أكثر حذراً وتماسكاً مع كل من روسيا والصين؛ بهدف إقامة انفراجة تقوم على تفاهم متبادل بشأن عدم الانقلاب. كما يجب أن تركز على إجراءات إصلاحات جوهرية في السياسة المحلية، تهدف إلى ترسيخ المرونة، وتعزيز نظام أكثر مساواة. ويؤكد المؤلف قائلاً: «إن تعزيز الأمن اللبيري، وتعزيز الرخاء، ودعم حقوق الإنسان يدعو إلى إعادة تأكيد مبادئ سيادة القانون الدولية، وإعادة تأكيد التحالفات القائمة، ومعالجة التفاوتات المحلية في بعض الديمقراطيات اللبيرية، وتحسين أنظمة التجارة، فكلها ضرورية لتعزيز

«الظروف لأوقات وعلاقات أفضل في العالم».

ويرى أنه «لحسن الحظ، في حين أن ثمة خطر اندلاع حرب باردة، فليس هناك أي خطر من إعادة الحرب الباردة. من غير المرجح أن تكون الحرب الباردة الثانية متطرفة مثل الحرب الباردة الأولى. هناك ثلاثة عوامل تؤثر في التصعيد؛ الأول هو التقدير العقلاني للتكاليف المحتملة لحرب باردة بين الولايات المتحدة والصين. يحتاج المرء فقط إلى أن يتذكر أن الصين لديها معدل نمو اقتصادي يزيد على ضعف معدل نمو الولايات المتحدة، كما أنها تمتلك ناتجاً محلياً إجمالياً قريباً من مثيله في الولايات المتحدة، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة أضعاف مثلتها في الولايات المتحدة. والثاني هو مصلحة عالمية مشتركة كبيرة غير مسبوقه في الازدهار المتبادل وحماية الكوكب من التدهور البيئي. والثالث هو أن روسيا والصين سلطويتان وليستا شموليتين. إن البوتينية ليست شيوعية ستالينية، وشي ليس ماوياً، ولا نازياً. ومع ذلك، من غير المرجح أن تقوم الولايات المتحدة وروسيا والصين بإقامة سلام «دافى»، مثل السلام الذي تتمتع به أوروبا الغربية» أو بين أوروبا والولايات المتحدة وحلفائها الآخرين

ويشير الكاتب إلى أنه «في السنوات الأخيرة، غزت الولايات المتحدة، أفغانستان، والعراق (الأخير على أساس معلومات استخباراتية خطأ للغاية)، وتدخلت مع حلفاء في ليبيا وسوريا. غزت روسيا، جورجيا وأوكرانيا (مرتين). تؤكد الصين مطالبها الإقليمية في بحر الصين الجنوبي، وتطالب بالسيادة على تايوان؛ المتمتعة بالحكم الذاتي. المصدر الأعمق للصراع العالمي، هو المصدر الدفاعي. ولا تريد الولايات المتحدة وحلفاؤها فرض الديمقراطية بالقوة. إنها تريد صنع «عالم آمن للديمقراطية» يكون فيه الأمن القومي ميسور الكلفة، والانتخابات آمنة، والأسواق حرة، وتظل حقوق الإنسان نموذجاً مثالياً. الصين وروسيا لا تسعى إلى فرض الحكم الاستبدادي لمصلحتهما. وهما، بالمقابل، تسعى إلى «عالم آمن للاستبداد» تكون فيه الحكومات حرة في إجراء أو عدم إجراء انتخابات، وتخضع الأسواق والمعلومات لتوجيهات الدولة، ولا يشكك أحد خارج الحكومة في سياسة الدولة. الجانبان مهددان؛ لأن هاتين الرؤيتين غير متوافقتين، ولن يتفق الطرفان إلا مع إجراء تنازلات صعبة. ستكون استعادة احتمالات التسوية الدبلوماسية صعبة، بعد الصدمة، ومآسي الحرب والعقوبات الانتقامية الشديدة التي نجمت عن غزو أوكرانيا. لكن حتى أسوأ الحروب تنتهي. انفراج الحرب «الباردة أعقب الحرب في فيتنام والغزو السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا».

يمكن أن يتطور صراع الحرب الباردة إلى حل وسط، وانفراج سلمي بارد، إذا أمكن تنفيذ اتفاق عدم الانقلاب؛ أي عدم محاولة أي من الطرفين مهاجمة الاستقلال السياسي أو وحدة أراضي الطرف الآخر. يجب أن تظل المناقشات حول تعزيز المصالح الوطنية وحقوق الإنسان، مسموحاً بها، ولكن يجب أن تكون مصحوبة بمفاوضات حول الصراع السiberاني والمناقسة الصناعية وأوكرانيا وتايوان وبحر الصين الجنوبي. تحتاج الولايات المتحدة إلى تطوير دفاع متمق: حماية العملية الديمقراطية ضد الهجمات الإلكترونية، وإطلاق صفقة جديدة، لمعالجة التفاوتات المحلية التي تغذي التخريب في الديمقراطيات المعاصرة (مثل محاولة الانقلاب في 6 يناير/ كانون الثاني 2021، في واشنطن العاصمة).

الصورة



حلول وسطية

في هذا الكتاب، يرسم المؤلف صورة لأخطار حرب باردة جديدة تقترب منها. على الرغم من أن التوترات بين الولايات المتحدة والصين وروسيا تهيمن على السياسة العالمية، ويرى أنه يجب ألا نفترض أنها المصدر الوحيد لانعدام الأمن.

يختصر المؤلف تعاريف وخطوط الحرب الباردة الجديدة الناشئة في الجزء الأول من الكتاب. في الجزء الثاني، يناقش أنه مثل الحرب الباردة، فإن ذلك هو صراع منظم بعمق، على الصعيدين الدولي والوطني، وهو مستوحى من منطق القطبية الثنائية، وعند النظر في الدوافع المحلية للصراع، يميز المؤلف بين أشكال الشركات (بما في ذلك الأنواع التي تفرضها الدولة من خلال التخطيط وتلك التي تنشأ من الأسفل في أشكال مختلفة من المحسوبية) وبين أشكال القومية والاستبداد. ويستكشف أيضاً كيف تترابط هذه الأشياء وتجعل، بطرق مختلفة، علاقات مستقرة بينها وبين أنواع الرأسمالية والليبرالية والديمقراطية صعبة للغاية.

ويقول المؤلف: «الحرب الباردة الجديدة التي يصفها المؤلف، ستكون واضحة لولا انتخابات الولايات المتحدة لعام 2016» كما يعلق على ذلك، ويقول: لم يكن دونالد ترامب هو السبب الجذري؛ بل كان حالة شاذة في هذا الصراع. في الواقع، كانت الحرب الباردة الجديدة أكثر وضوحاً وأكثر تصادماً لو أصبحت هيلاري كلينتون رئيسة بالتزاماتها بحقوق الإنسان والديمقراطية والأسواق العالمية. على الرغم من أن أسلوب ترامب وشخصيته وتفضيلاته لا تشبه أي زعيم معاصر بقدر ما تشبه فلاديمير بوتين، فإن صداقة ترامب وبوتين لم تكن ضماناً لعلاقات تعاونية بين الولايات المتحدة وروسيا. يعد ترامب قوة مفاقمة في هذه الحرب الباردة الجديدة؛ بسبب نزعته العسكرية؛ وعدم الاستقرار؛ وعدم القدرة على التنبؤ. الآن مع الرئيس جو بايدن في منصبه، أصبحت هذه الانقسامات العالمية بين الديمقراطية ونقيضها أكثر وضوحاً، ولم يوقف الرئيس بايدن تصعيد الحرب الباردة الجديدة؛ بل دفعها إلى الأمام.

يستكشف المؤلف في الجزء الثالث، النظائر التاريخية المهمة للحرب الباردة الجديدة. على عكس بعض النقاد، يوضح المؤلف أن بوتين ليس ستالين، وشي ليس ماو، وليس هناك أحد يشبه هتلر. ومع ذلك، يسلط الضوء أيضاً على وجود روابط مهمة بين فاشية القرن العشرين و«أوتوقراطية الشركات القومية» في القرن الحادي والعشرين. ثمة روابط بين أيديولوجية وسياسات روسيا وأفكار وسياسات موسوليني في هجماته على إثيوبيا، وتدخله في الجمهورية الإسبانية. كما أن هناك روابط مهمة بين البيئة الاستراتيجية والخيارات التي اتخذها النظام العسكري الياباني في الثلاثينات من القرن الماضي، والبيئة التي يواجهها والسياسات التي اختارها الرئيس شي جين بينغ في الصين اليوم. لا أقول إننا على وشك إعادة الحرب العالمية الثانية. يعد الردع النووي والاقتصاد الجغرافي والاختلافات الأخرى ذات أهمية حيوية، لكن لدينا الكثير لتتعلمه من الظروف التي واجهها رجال الدولة في فترة ما بين الحربين والأخطاء التي ارتكبوها.

ضرورة تقديم التنازلات

يقدم الكاتب في الجزء الرابع، دليلاً على أن حرباً باردة أخرى ليست حتمية، ويحدد التنازلات الحيوية التي يمكن أن تجعل السلام البارد ممكناً. ومع ذلك، فإن الجذور الهيكلية المحلية للنزاع، تجعل من غير المحتمل أن تنشأ الولايات المتحدة وروسيا والصين سلاماً دافئاً، مثل السلام الذي تتمتع به أوروبا الغربية أو بين أوروبا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا واليابان.

كلفت الحرب الباردة 11 تريليون دولار من الإنفاق الدفاعي للولايات المتحدة وحدها. على الرغم من أنها «باردة» إلى حد كبير بين القوى العظمى، فإنها ساعدت في إحداث 14 مليون ضحية في حروب بالوكالة، وأثارت صراعات. وما يشغلنا اليوم هو ما تعنيه الحرب الباردة الجديدة ليس فقط للأمن العالمي ولكن أيضاً لعالم أكثر إنسانية؛ حيث يعيش

البشر فيه ويجب حماية حقوقهم والكوكب الذي نعيش فيه

في الختام، يرى المؤلف أننا بحاجة إلى مزيد من الجهود المتضافرة لإدارة التوترات الأمنية العالمية من خلال تطوير حلول وسطية وأرضية مشتركة حول المناخ والعلاقات السيبرانية وأوكرانيا وتايوان. تحتاج الولايات المتحدة وحلفاؤها إلى تفكير جديد من أجل تصميم استراتيجية أكثر حرصاً وحزماً لحقوق الإنسان، تتكيف مع هذه الأوقات، على أمل تعزيز الظروف لأوقات أفضل يتم فيها خوض المنافسة إن لم يكن في وفاق على الأقل، في سلام بارد، يحل محل الحرب الباردة التي تلوح في الأفق. في سلام بارد، لا تحاول أي قوة عظمى تفويض الاستقلال السياسي أو وحدة أراضي دولة أخرى.

في النهاية، يجب أن نفهم التهديد؛ المتمثل في اندلاع حرب باردة جديدة، وأن نتخذ تدابير لكبحها، لئلا نثقل كاهل جيل جديد بكفاح طويل من سباقات التسلح والفرص الضائعة، لمواجهة التحديات العالمية. قبل كل شيء، يجب أن نسعى جاهدين إلى تحقيق انفراج يتم فيه إخراج العمليات السرية الموجهة ضد المؤسسات السياسية المحلية والبنية التحتية الحيوية من على الطاولة، باسم البقاء المتبادل والازدهار العالمي. هذا الكتاب هو دعوة إلى بدء هذا المشروع

ترجمة وعرض:

نضال إبراهيم

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024